ـ ولكن ..
ـ ولكن كما ترى في غير طريق العودة .
ادركنا الموقف معا .
ـ بل انه ..
لم يكمل موريس عبارته .. ابتلع بقيتها كما يبتلع سجين ابدي رغبة تداعب احلامه منذ زمن ، ولا يملك تحقيقها . استقرت جمرات القهر في جوفه وهو يتطلع الى الافق مقيما وراءه واقعا جديدا .
بل انه طريق العودة .. قلها يا موريس ولا تخجل ، فلسنا نحن الذين هزمنا . الخونة هم الذين هزموا .. الجهلة هم الذين هزموا.. المخادعون هم الذين هزموا .. الكذابون هم الذين هزموا ..المغرورون هم الذين هزموا .. بكل ثقل الرحلة قلها ولا تخجل .

***

كان عظيما ، لم تخرب الرحلة روحه بعد . تذكرناهم ونحن ناكل .. اولئك الذين ما زالوا يقطعون جوعى صحراء بلا حدود . لكن علي كان حنما يتذكر ويفكر بطريقة غير طريقتنا . لم تستطع الرحلة بكل جبروتها ان تغرس في لحمه شوكها الصحراوي النهم .
عاد مرات .. يتزود بمؤونة جديدة وينطلق . يوزع الرحمة على فلول جيش لم يتح لـه الخونـــة والجهلة والمخادعون والكذابـون والمغرورون ان يشترك في معركة .
قال موريس :
ـ كيف لم نفكر في هذا ؟! .
قلت كالتائه :
ـ جاءت الفكرة لمن نفذها .
اختبأنا خلف حاجز من الصبار ، وظهرنا الى جدار من الحجارة. كان علينا ان نغطي ظهر علي .. ننبهه ـ على الاقل وبقدر قدراتنـا الضئيلة ـ الى اي بادرة خطر. كنا نرى الطريق والعربة بوضوح ولا تريانا . هذه المرة كان علي يتقد حماسا . مسح العرق عن جبهتـه بذراعه العارية ، وازاله عن عينيه باصبعيه ، ثم هم بالقفز الى ظهـر العربة من الخلف . كانت كفاه ما زالتا قابضتين على الحاجز الخلفي عندما سمعنا الصرخات : قف مكانك .. سلم نفسك .. ارفع يديك.. اركع على قدميك . انزلق علي تحت العربة منبطحا . لا بد انه كـان يريد ان يزحف تحتها حتى يصل الى عجلة القيـــادة . دوت الاف الطلقات ممزقة السكون . لم تستطع الدورية الاسرائيلية ان تقترب الا بعد ان قذفته بآلاف الطلقات .. ذخيرة فصيلة كاملة افرغتها دوريـة اسرائيل على هدفها .
كان جسد موريس ينتفض انتفاضات طائر ذبيح . رفعت الدورية الدراجتين البخاريتين الى ظهر العربة . دارت العربة لتصعدالمنحدر. في دورتها لم تأبه بجسد علي .. بل تعمدت ان تمر ببطء على جسده. تقهقرت ثانية وعادت لتسحق رأسه . وضعت كفي عـلى وجهي . صرخ موريس هم باللحاق بهم :
ـ يا كفرة يا اولاد دين الكلب .
القيت بجسمي فوقه محاولا تكميم فمه ، تخلص مـــن قبضتي بقوة لا اعرف كيف استطاع ان يجمعها . جذبته من ساقه فسقطنـا الى سفح الواحة . لم تسمعنا الدورية .. ربما نشوة النصر .. ربما بهيمية الانتقام .. ربما صوت المحرك . كان موريس يلهث فاقد الوعي. فككت الاربطة التي كنا قد ربطنا بها الجرح . انبعثت رائحة جيفة كريهة لم تردني عنه ، ولا الديدان التـــي تضخمت واستطالت وتكاثـــرت استطاعت ان تردني . تساقطت دموعي وانا ابحلق في الجرح الذي اتسع وازداد عمقه غورا . رأيت من خلف سحابة الدموع فتـاتي .. فتاة صغيرة ضئيلة لحست الشمس نور عينيها ، تقف امامي اثيرية بزمزمية ماء ، وانا اطهر الجرح من الديدان ؟

حلوان — محمد محمود عبد الرازق

اشراقة الصعود

« الى زوجتي ، وكنا معا ، بعد معركة الكرامة »

برغم هذا الليل يا رفيقتي الحزينه
برغم جرحنا الذي ينام واهنا على مشارف المدينه
كقطة تموء في رعونه
كقطة تموت في سكينه
ترود عيناها على وليدها ،
يلهو به الصغار
برغم هذا كله
برغم ما عانت شعوبنا من البوار
نغذ خطونا لرحلة انتصار
كما يغيب الليل مدبرا ،
سيقبل النهار .

***

لمحتها على جرائد الصباح والمساء
كنـا معـا ،
عيناك كانتا بحيرتي شقاء
وكنت حانيا عليهما ومشفقا
مهدهدا أساهما للحظة اللقاء .

***

وقفت كالصليب يا رفيقتي على مداخل « الكرامه »
باركتها شارعا شارعا
صليت خاشعا ،
على غبار بابها
حلمت أن أموت واقفا على ترابها
لا باكيا على الاطلال
لا نادبا ، لا راثيا من سقطوا ،
في حلبة القتال
فكل مـا يقال
أصغر من أن يطال
ردما من البيوت
أو زهرة تموت
أو حبة من التراب
مجبولة بأشرف الدماء
لمحتها على جرائد الصباح والمساء
البلدة الصبورة الجلود
لمحتها واغرورقت عيناي
تألقت اشراقة الصعود .

عمـان — محمد القيسي